وثوجهت اليه تسأله :

ـ وانت ؟

فنظر الى اوراقه ، ولم يجب . قالت :

ـ يبدو لي انك قد كبرت قليلا .

وقبل ان يعلق بشيء ، اخترق سمعهما صوت صرخة ثاقبة ، فالتفتا ، فاذا بالصبي منكب على وجهه فوق بلاط الباحة يصرخ ، واخته فوقه تحاول ان ترفعه .

وهب واقفا ، وانطلق يسابقها ليحمل الطفل بين يديه . ونبهته صرختها الى الدم الذي يسيل من انف الطفل ، فاحتضنه وعاد به الى حيث كانا يجلسان .

ونادى الخادم يطلب منه قطنا ، وحين جلس على كرسيه والطفل بين ذراعيه يبكي ، رأى ناهدة مقبلة عليه ، ممتقعة الوجه ، فاخذت منه طفلها ، وجلست به الى الطاولة المجاورة ، حيث كانت جالسة قبل لحظات .

واخذ يمسح دم الطفل عن انفه ، وقال :

ـ لندعه يستريح بعض الدقائق .

وقالت له بصوت واهن :

ـ انني انا المذنبة ... لقد غفلت عنهما .

قال وقد احس يده ترتعش :

ـ بل انا المذنب .. لقد شغلتك عن حاضرك ..

وخطرت له بقية العبارة « بماضي انا » ولكنه لم ينطق بها . واضاف :

ـ المعذرة يا ناهدة .

وعاودته تلك النكهة من اسمها على لسانه . ثم راح يلامس باصابعه خد الطفل الذي كان قد كف عن البكاء وفاجأ نفسه مرة اخرى وهو يقول :

ـ لقد كان من الممكن ان يكون ... ابني .

واقترب ، فاخذ الطفل الى صدره ، وقبله في جبينه ووجنتيه .

وحين نظر الى ناهدة ، رأى في عينيها دموعا . ولكنه لم يعرف السبب : الشعورها السابق بالذنب بكت ، ام لعبارته الاخيرة ، ام لانه ضم اليه ابنها ؟

*

ذهبت من غير ان تلتفت اليك ، من غير ان تبتسم بسمة اخيرة . ومع ذلك ، فقد كان حضورها يملأ المكان كله ، المقهى كله ، حتى لم يكن ثمة حضور آخر ، وحتى حضورك انت كان يعاني الغيبوبة .

وها هو ذا قلمك في يدك ، واوراقك على الطاولة ، ونقطة الدم ، هذه التي حاولت ان تمسحها فلم تذهب ، ما تزال باقية على كم سترتك .

نقطة الدم هذه ، هي كل ما تبقى لك .

اما هذه الصفحة ، فما يزال قلمك يستعصي على ان يسطر الخاتمة فيها .

بلا نهاية ، ستبقى قصتك .

بلا نهاية .

سهيل ادريس

الخروج

خرجت من غلاف قصتي المهراه
امسكت ثوب الريح .. فانخلعت عاريا
صرخت في برية الاضواء :
يا ابي !
فانطفأ الصوت
وانشقت البريه
بحثت عنك يا ابي خلف نوافذ المطر
بحثت عن انفاسك المعلقه
على مشاجب الهواء
بحثت .. يا ابي
على لوافت الموانىء المغلقه
عن اسمك الذي نسيته في لوثة الهجاس
في بيتك السري ..
في حافظة النقود .. في مملكة النعاس
فتشت عن ميراثنا الذي وهبته .. لنا
انا .. واخوتي الصغار
في زمن البذار قد منحتنا ...
ذكرت هذا انت .. في وصيتك
بحثت .. يا ابي .. فما وجدته
وانفجرت .. في وجهي المنشق .. شمس حزقيال
وانطفأت عيناي يا ابي .. وانت
ما بكيتني .. !!
تكسرت رجلاي في الطريق .. فانكفأت
فوق ظلي الصغير
دسته
من يومها يا سيدي .. لم استطع
ان .. اغلق الغلاف فوق جبهتي المحطمه
واخوتي المحنطون .. لن يميزوا ملامحي
فما الذي .. اردت لي .. يا ابتي !؟
حين احتقرتني .. اختطفتني .. من فرشتي
فان يكن .. يا سيدي .. جلدي انا متسخ
فانت قد مسحته بالزيت .. قد باركته
فما الذي استفدته .. ؟
لما تركتني .. في الظل .. يا ابي
دون غطاء

القاهرة

فرج صادق مكسيم